

## کافر در زاویه نگاه‌العلل فی خلق الکافر

### محمود نظری

قال الله تعالى: « هو الذي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن » سورة تغابن آیه ۲ رساله «العلل فی خلق الکافر» اثر مهذب‌الدین احمدبن عبدالرضا بصری از دانشمندان سده یازده هجری است. نگارنده این مقال در مقدمه فائق‌المقال<sup>۱</sup> از آثار این نویسنده، به شرح حال و تألیفات وی که شخصیتی جامع و ذوفنون بوده پرداخته است. این رساله در مجموعه رسایل مؤلف به شماره ۸۹۲۲ کتابخانه مجلس قرار دارد که ان‌شاءالله بزودی بقیه این رسایل تصحیح و به چاپ خواهند رسید، اما علل خلق کافر به گونه‌ای تسامح در تعبیر است چرا که خداوند متعال هیچ انسانی را کافر خلق نکرده، بلکه هر کس با فطرتی پاک و خداجو آفریده شده است. «فطرة الله التي فطر الناس عليها» سوره روم - آیه ۳۰ و انسانها به علل مختلف به ایمان یا کفر می‌گردند.

به هر روی این رساله در پاسخ به پرسش و در واقع رفع شبه‌ای است درباره وجود کافر که قضاوت درباره آن را به خوانندگان وا می‌گذاریم.

أحمدک، یا من ظهر فی الاشياء قدرته، و أولادها حکمته، و أصلی علی من ختم به نبوته، و علی آله الذین أتم بهم فتوته.

اما بعد فيقول الجاني الراجي عفو ربه و الرضا، أحوج خليفته اليه المشتهر بالمهذب أحمدبن عبدالرضا، هذا ما خطر بالبال الفاتر من العلل في خلق الكافر، جواباً لسؤالك أيها الخليل الصالح، و الجليل الراجح، اعلم وفقك الله، تعالى أنه قد ثبت بالأدلة العقلية و النقلية إن الله، تعالى عدل حكيم لا يفعل قبيحاً و لا يخل بواجب فجميع أفعاله موافقة للحكمة و إن لم يظهر لنا وجهها فاعلم أن في خلق الكافر أيضاً كذلك مع أن الحكم الخفية في أفعاله تعالى أكثر من أن تحصي و قد ظهر لنا منها وجوه: منها إرادة وقوع العبادة، الموجبة للسعادة. منه باختياره و تكليفه بها كالمؤمن كما قال عز من قائل: و

ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون، و العلة شاملة لهما و خروج غير المكلف ظاهر. و منها إرادة كونه دليلاً من سائر الأدلة على معرفة الله، تعالى كما و رد في الحديث القدس: كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق، و في الخبر، إنّ الله ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبده الحديث.

منها الإشارة إلى بطلان الجبر فإنّ وجود الكافر و المؤمن و كون الكافر قد يؤمن و المؤمن قد يكفر و نحو ذلك دلّ على بطلانه قطعاً إذ لو كان لكان المناسب بحكمته تعالى و عدله أن يجبر الإنسان على الإيمان و الخير و الطاعة لا على أضدادها.

و منها إظهار كمال القدرة و الحكمة في خلق ما حكمته جليلة ما حكمته خفية، و لولا ذلك لظن القاصر كونه تعالى عاجزاً لا قادراً و موجباً لامختاراً كما نطقت به الأخبار الصحيحة و الآثار الصريحة.

و منها إظهار تمام الحلم و الرحمة و الصبر و النعمة، بامهال العاصي و الظالم ليتوب إليه من يتوب، و لأنّه لو أنّ من كفر أو فسق هلك و من آمن و أصلح ملك لدلّ ذكر على صفات من لوازم العجز و الضعف و الجمل كالحدة و العجلة و قلة الصبر و عدم المهلة و هي مذمومة قطعاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

و منها إراته ظهور أحسنية الإيمان، عند ظهور قبح الكفر و العدوان، فإنّ الشيء يعرف بضدّة كالنعمة بفقدها، قال بعضهم، أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة قدر الشباب لا يعرفه إلا الشيوخ، و قدر العافية لا يعرفه إلا أهل البلاء و قدر الصحة لا يعرفه إلا المرضى، و قدر الحيوية لا يعرفه إلا الموتى، و الحاصل أنّ في مقابلة كل شيء بضدّة حكيمياً عظيمة و مصالح جسيمة، فخلقه لطف لطيف للمؤمن موجب لثباته على المنهج القويم كما لا يخفى.

و منها إظهار وفور الجود و الاحسان و التفضّل و الامتنان حيث أنّه تعالى يرزق المطيع و العاصي، و ينعم على الداني و القاضى، من المستحقّ و غيره و ذلك داغ إلى زيادة الرجاء منه تعالى و ترك القنوط من رحمته و الاعتماد على غيره، و منها إرادة المنع من القول بالعلو في الأنبياء و... و الأوصياء و الأولياء لأنّهم مع الأعداء و الأضداد تارة غالبون و أخرى مغلوبون، و لعلّه لولا ذلك لا اعتقد بعض القاصرين ذلك الأمر الفاسد فيهم و نحو هذا مروى في عدة مواضع.

و منها إظهار حقارة الدنيا الدنيّة فإنّها للمؤمن و الكافر، و البرّ و الفاجر بخلاف الآخرة العلية فإنّها مخصوصة بالخواصّ فيكون ذلك موجباً للزهد فيها و الرغبة في الآخرة بأعمالها، و إلى هذا أشار بقوله صلى الله عليه و آله: لو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة من ماء.

و منها إرادة تكثير النوع الذى هو مركز دائرة الإمكان، و أشرف من الملائكة و الجن و توفير نسله و تعريض نسل الكافر للإيمان، فإنّ كثيراً ما جدّاً يتحلّى أولادهم بحلية الإيمان و هذا ماروى في بعض كتب الحديث المعتمدة.

و منها إظهار كون المؤمن خائفاً بالتقيّة من الكافر و قد روى أنّه كان أحبّ الأشياء إلى رسول الله، صلى الله عليه و آله، أن يرى خائفاً جائعاً فإنّ ذلك عبادة عظيمة كما نطق به الخبر غير مرّة وداع الى الخوف من الله و أنّه تعالى أحقّ أن يخاف منه و إلى زوال العجب و الظلم و العدوان، و ربما يترتب على ذلك قتل الكافر للمؤمن و هي منزلة عالية و درجة سامية و هي الشهادة الكبرى و السعادة العظمى قد تشرف بها الأنبياء و و الأوصياء عليهم السلام، و روى أنّ أمير المؤمنين، عليه صلوات ربّ العالمين، أنه قال لما ضربته ابن ملجم عليه اللعنة: الآن<sup>٢</sup> فزت و ربّ الكعبة.

و منها إرادة نفع دنيوى من الكافر اللعين للمؤمن الأمين و ذلك بين إذ كثيراً ما ترى الكافر ينفع المؤمن إقامة نظام معاشه فى الصناعات و الزراعات و التجارات بل فى الجهاد و القتال كالمؤلفة قلوبهم و يفتنهم من أموالهم الجزيلة و أولادهم... و استراقاق ذرايرهم و استخدامهم، و هذا نفع لا يتأتى من بعض المسلمين ببعض شرعاً و لاعتقلاً فخلق الكافر كخلق الدابة فى عظيم المنفعة بل منفعة أعظم من منفعتها و كفره على نفسه فخلق لا ينافى الحكمة كخلقها، هذا ما خطر بالبال، و الحمد لله المتعال و الصلاة على محمد سيد الامام و على آله، مصايح الظلام، وقع الفراغ من مشقة مشقتها فى الشهر الأوّل من السنة السابعة من العشر الثامن بعد ؟؟؟ عين متوجة من الهجرة النبوية على مهاجرها أكمل الصلوة و أتمّ التّحيه.

### پی نوشت‌ها:

١. چاپ شده به سال ١٣٨١ هـ.
٢. مراحل: کفرا.
٣. در نسخه الآن.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی  
پرتال جامع علوم انسانی